هل تشكل عدن وجنوب اليمن قاعدة لضرب حركة أنصار الله؟

■ حميدي العبدالله

لجأ الرئيس اليمني المستقيل عبد ربه منصور هادي إلى مدينة عدن، حيث لا تزال اللجنة الأمنية التي تسيطر على المدينة تدين له بالولاء.

ومن خلال رصد ما يبثه وينشره الإعلام الخليجي، ولا سيما الإعلام السعودي، تبرز رهانات على احتمال أن تشكل عدن مكاناً لتجمّع المعارضين لنظام الحكم الجديد في صنعاء بقيادة اللجنة الثورية التي باتت المرجعية الوحيدة في اليمن الشمالي.

لكن هل عدن واليمن الجنوبي عموماً مهيأ للعب الدور الذي تراهن عليه بعض الحكومات الخليجية وربما حكومات غربية على رأسها الولايات المتحدة؟

الحراك الجنوبي الذي بدأ قبل عام 2011، أيّ قبل «الربيع العربي» يدعو صراحة إلى انفصال الجنوب عن الشمال، وعودة «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية»، وهو الاسم الرسمي لدولة الجنوب، إلى الوجود. وبديهي أنّ أيّ حراك سياسي لا يصبّ في هذا الاتجاه لن يحصل على تأييد شعبي واسع في محافظات الجنوب، وعلى رأسها محافظة عدن العاصمة الاقتصادية لليمن الموحّد.

جنوب اليمن يتوزع اليوم على ثلاث قوى أساسية، القوة الأولى الحراك الجنوبي، ولاسيما في المدن الرئيسية الجنوبية وعلى رأسها عدن، وبديهي أنّ هذه القوة لا يعنيها ما يجري في شمال اليمن ولن تدعم أيّ جهات، سواء كانت يمنية أو خارجية في حربها ضدّ اللجنة الثورية، وحركة أنصار الله في الشمال، لأنّ هذا لا يعنيها، جلّ ما تهتمّ به هو انفصال الجنوب عن الشمال واستعادة جمهورية اليمن الجنوبي.

القوة الثانية هي تنظيم «القاعدة» الذي يسيطر على أجزاء واسعة من محافظات شبوة ولحج وحضرموت وهي المحافظات الواقعة في جنوب اليمن، وتنظيم «القاعدة» يعادي اللجنة الثورية وحركة أنصار الله، ولكنه في الوقت ذاته يعادي بنفس المقدار الحكومات الخليجية والحكومات الغربية، ومن الصعب قيام تعاون علني وفعّال بين «القاعدة» والدول الغربية والحكومات الخليجية، وبالتالي لا يمكن الرهان على تنظيم «القاعدة» في استعادة النفوذ والسيطرة من جديد على شمال اليمن، بل إنّ التعاون مع «القاعدة» يشكل عبئاً، كما أنّ تنظيم «القاعدة» يعمل لحسابه الخاص، ولن يسمح لأيّ طرف آخر باستخدامه في هذه الساحة لمصلحته من دون دفع ثمن أقله سيطرة «القاعدة» على المناطق التي تجري الاستعانة به فيها.

القوة الثالثة، هي مجموعات من الجيش والأمن التي لا تزال على ولائها للرئيس هادي، ولكن هذه القوة هي الأضعف بين القوى الفاعلة والمؤثرة في اليمن الجنوبي، وهي غير قادرة بمفردها أن تستعيد زمام المبادرة في اليمن الشمالي، وسيكون دورها إعلامياً وسياسياً للتشويش على حكم اللجنة الثورية أكثر من أيّ شيء آخر، ولكن هذا التشويش لا يغيّر من توازن القوى الميدانية، ولا يحول دون ترسيخ سيطرة السلطة الجديدة على كلّ أنحاء اليمن الشمالي، لا سيما بعد التقارير التي تؤكد أنّ اللجان الشعبية توشك على عزل مدينة تعز عن الجنوب، وبالتالي سقوط آخر المدن الرئيسية في الشمال التي لا تزال خارج سيطرة السلطة الجديدة بزعامة حركة أنصار الله.

تركيا تؤكد كلام نصرالله: يمكن القضاء على «داعش» بسهولة

■ روزانا رمال

يقول السيد حسن نصرالله في خطابه الأخير في ذكرى الشهداء القادة في معرض حديثه عن «داعش» وضرورة قتالها ودعوته الجميع للذهاب مع حزب الله للقتال في سورية او في العراق او حيث تتواجد «داعش» كتحصيل حاصل انه يمكن القضاء على «داعش» بسهولة.

قد لا يبدو هذا الحديث واقعياً لولا انه صادر عن شخص الأمين العام لحزب الله الذي حقق حزبه انتصارات استراتيجية، وبات قوة إقليمية، ولم يعد الحديث عنه حديثاً يوضع ضمن إطار السلة اللبنانية او تسوياتها الداخلية على الإطلاق.

وضع السيّد نصرالله «داعش» في إطار مصلحي سياسي أميركي بحت، بعدما دعا إلى التفتيش عن «الموساد» و«سي أي آي»، وأضاف: قد تتحرك اميركا فجأة وجدياً للقضاء على «داعش» من أجل أن يفوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات الأميركية.

«داعش» المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالولايات المتحدة وحلفائها الذين يقاتلونها في ازدواجية مريبة، البعض منهم شريك رئيس كتركيا، والبعض الآخر تابع، و«داعش» التي نشرت الإرهاب في الشرق الأوسط بدقة وحرفة تصبح اليوم ورقة انتخابية سياسية داخلية عند الاميركيين بقرار حزبي مدروس يغيّر صورة من سيحكم الولايات المتحدة في المرحلة المقبلة، او يبقي على الديمقراطيين الذين عايشوا او شهدوا ولادة «داعش» ودعموها لتصبح ذريعة كالقضاء على بن لادن سابقاً وغير ذلك من التحديات التي طرحها اوباما في برنامجه السياسي الرئاسي كبند اساس «مكافحة الارهاب» حسبما أشار السيّد نصرالله.

عندما يولد الإرهاب ويحارَب في نفس الوقت من نفس المصدر يصبح واجهة وورقة قوية لدى الرأي العام الدولي والداخلي الاميركي، والأخطر ان لا يصبح مستبعداً لجوء الدول الأوروبية إلى ازدواجية مكافحة «داعش» ودعمها بنفس الوقت، واعتبارها ذريعة انتخابية لتحدّي فرقاء السياسة في دولهم.

ورقة الانتخابات او الابتزاز في الشرق الاوسط يؤكد السيّد نصرالله انه يمكن هزيمتها على صعيد لبناني إذا توفرت إرادة داخلية جامعة للتعاون في ما بين الافرقاء، وهذه السهولة التي تحمل بعض الأمل في نفق الظلام، تؤكد عليها القوات التركية التي دخلت الأراضي السورية في اليومين الماضيين من أجل تنفيذ عملية أسمتها «نقل رفاة سليمان شاه»، وكان دخولها سلساً تحت عين «داعش» ومن دون مهابة او استهابة ولا إعلان حرب صريح عليها، و«داعش» التي لم تتخذ أيّ قوة برية عسكرية دولية قرار النزول والمواجهة البرية، تدخل تركيا أو تخرج وتتحرك بسلاسة سهولة في التعامل والتعاطي مع وجود من هذا النوع، وبعتاد ودبابات وعدد عسكريين اتراك وحضور هامّ.

الازدواجية في التعاطي مع «داعش» باتت مطاطة إلى حدّ لا يستهان به، ويبدو أنّ سهولة السيطرة عليها توازي سهولة قرار كشجاعة دخول قوات برية تركية إلى الأراضي السورية من دون حسابات او حذر من مواجهة او خسائر بينهم...

القرار التركي يؤكد سهولة القضاء على «داعش» دولياً، كما يؤكد غياب كلّ إرداة جدية لذلك.

«توب نيوز»

إيران دولة عظمى سادسة

يتحدث حكام المنطقة من السعودية إلى تركيا و«إسرائيل» بقلق وخوف عن الاتفاقات الأميركية مع إيران.

كيف تمكنت إيران من التقدّم على دول وكيانات تشابهها في القدرات السكانية والجغرافية والاقتصادية مثل مجلس التعاون الخليجي وتركيا ومصر و«إسرائيل» بقياس الدعم الغربي وحجم الامتداد السكاني عبر المهاجر؟

خلال ثلاثين سنة تخطت إيران دول الخليج مجتمعة، وهي في حال حرب وتحت الحصار، وتخطت تركيا الأطلسية و«إسرائيل» القوية.

ما بلغته إيران بالإسلام تخطى ما يندب حظه عليه غيرها بالإسلام الذي تتباهى به السعودية، وما تخطته بتفوّقها الديمقراطي يتباهى به التركي، والتطور التكنولوجي تتباهى به «إسرائيل».

القضية المحقة والتعبير عن إرادة شعب وكيان طبيعيين، والأهمّ هو الاستقلال الوطني والعزيمة الثابتة على بناء دولة تحترم كرامة شعبها وقضايا أمتها هو القيمة المضافة التي صنعت القوة لإيران.

لا مشكلة للغرب مع إسلام السعودية ولا ديمقراطية تركيا ولا دولة «إسرائيل» التقنية.

مشكلتهم استقلال إيران وتمسّكها بفلسطين والمقاومة فهم قيمتها المضافة.

إيران دولة عظمى سادسة مع الدول الخمس الكبرى.

التعليق السياسي

أنياب الذئب

شهناز صبحي فاكوش

كان دائماً ذئب الاستعمار حاضراً في بلادنا، ينهش... يقضم... ما تيسّر له من أرضنا، من تاريخنا من حضارتنا من ثقافتنا، ولكننا المقاومون الرافضون أبداً لحضوره العدائي مهما كان ضاغطاً.

كانت سورية أشجع المقاومين في رفضه على أرضها، فلم يلبث الفرنسيون أكثر من ربع قرن؛ وهو الزمن الأقلّ احتلالاً بين الأقطار العربية. ما نزع بالعرب إلى رفضه في كلّ أقطار التقسيم السايكس بيكوي.

سورية كانت دائماً إلى جانب إخوانها العرب، تساعدهم للحصول على حريتهم. ما تخلت عن دورها القومي يوماً، يشهد لها التاريخ القريب والبعيد.

في ذاكرتي... الطفلة التي لم تتجاوز سنواتها الثلاث، لا تنسى كيف وقفت والدتها لتنزع سوارها الذهبي؛ على طاولة جمع التبرعات لنصرة أهلنا في الجزائر.

كما نزعت والدتي خاتمي وسواري الصغيرين، ما زالت لمعة حجره الزرقاء في الذاكرة. أسعد لحظة في تاريخ طفلة، شعور لا يُنسى من فرط وجدانيته... يتنامى عليه الشعور الوطني والقومي.

ما أن أقبل الصف الأول ليحتضن طفولتي حتى وجدتني أنشد مدرسياً قسماً بالنازلات الماحقات، نحن قلناها حياة أو ممات، وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر، فاشهدوا، بعد نشيدنا الوطني. وتحرّرت الجزائر.

تلك هي سوريتنا الغالية، حضن العرب جميعاً، ومأثرة النضال، والدولة الأولى التي أنجزت ديمقراطية عربية، حين أقامت برلماناً انتخابياً، وهي الأكثر حضارة، حين سعى مهاتير محمد حثيثاً لتلحق ماليزيا بها.

سورية اليوم يتفق عليها العرب، حيث لم يتفقوا يوماً على أمر يحفظ في الحدّ الأدنى كرامتهم بعد حرب 1973.

الذئب العدائي الأورو ـ أميركي، ما فتئ يستخدم وكلاءه في المنطقة لضرب سورية محاولاً بسيناريو الكساسبة، غرز نابه الأردني في جسدها المثقل بالجراح، مسخراً طائرات الملك لإختراق أجوائها على أنه ضمن التحالف الأميركي لضرب «داعش»، مهيئاً قواته البرية استعداداً لزحف روّجت له الإدارة الأميركية، أن لا إمكانية للتخلص من «داعش» من دون مشاركة برية، إلى جانب القصف الجوي. وإغواء الخليج ببريق التورّم في الموقف، وملاءة الحيّز السياسي رغم الضآلة الجغرافية والفكرية.

بينما تقدم السلاح لـ«داعش» ـ خطأً ـ بدل المقاومين. بإنزال سافر على مرأى العالم. والحجة دائماً أنّ التقديرات خاطئة، كما أسلحة الدّمار الشامل سبب خراب العراق... وما سبق وما تلا. هل نحن سذج أم أغبياء؟ وذات الشيء من «الناتو» في ليبيا الضائعة!

ناب الذئب المتمثل في الأردن يتذرّر خلف إحراق الكساسبة. ذريعة رسمها السيد الأميركي صانع «داعش» وما على التابع إلا تنفيذ أوامر المتبوع.

ترى لو لم تكن حدودها ممراً سالكاً للإرهابيين من مختلف الجنسيات، الذين كانت تحملهم الطائرات إلى مطاراتها، ليتسللوا إلى الأراضي السورية، هل كانت تخشى عودتهم لولا حفظهم خبايا دروبها ذهاباً وإياباً.

تستدرك أميركا المتيقظة لثغرات مؤامرتها ـ رغم مطبات غبائها التي لا تحصى ـ خشية فشل الأردن تحت ضغط شارعها، من غرس نابها في الجسد السوري.

تحرك نابها التركي شمال سورية، فتُدخِل تحت ستر الليل من الدبابات أربعين، ومن الجنود ست مائة، وأكثر من سبعين عربة مدرّعة تركية، مخترقة الحدود السورية في انتهاك سافر لسيادتها.

الحجة إخلاء الأربعين من حرس مدفن السلطان سليمان شاه الجدّ التركي، الفارّ من بلاده بسبب اجتياح هولاكو لها، الميت غرقاً في نهر الفرات، ولم تثبت رواية أنه رفات أم ضريح لأنّ الغريق لم يعثر على جثته كما يُروى...

التذرّع بالاتفاقية بين الانتداب الفرنسي وتركيا، باطلة وفق غياب الطرف السوري الرسمي فيها، وموات بعض بنودها بحكم عدم التنفيذ.

كما أنّ ذات الاتفاقية هي التي سلخت لواء اسكندرون، الذي لا ولم ولن يتخلى عنه الشعب السوري، إنْ في الذاكرة والوجدان، أو في واقع الحال، رغم مرور الزمن.

تركيا أخلّتْ ضريح سلطانها إلى داخل أرضها، فلماذا تعلن إعادته، وهي تخشى نسفه من «داعش» ـ كما تدّعي ـ هذه التي نسفت في طريقها الأَسْوَدْ؛ كل قبور الصحابة والصالحين، ولم تَقْرَبْهُ بأذى رغم التهديد من أكثر من عام.

«داعش» لا ترغب بخسارة تركيا، مصدر دعمها العسكري واللوجستي، وأول ممول ومدرّب لعناصرها، وناصب معسكرات الفارين، وأسر مسلحي ما يدعى معارضة وبعض خائني الوطن. إنها الحاضن الأول للإرهاب ضدّ سورية الوطن.

ما تريد المؤامرة على سورية الوصول إليه في النهاية، من كلّ ما يحدث على الساحة السورية اليوم، هو التالي: أولاً: إطالة عمر الأزمة علّ الإرهاب يحقق شيئاً ضاغطاً على الأرض. يؤثر في الموقف السوري الشعبي والرسمي.

ثانياً: حرف الأنظار عن انتصارات الجيش العربي السوري خاصة في الجبهة الجنوبية والتي يخشى الكيان الصهيوني منها، وكذلك في حلب القلوب.

ثالثاً: إنهاك الجيش العربي السوري، من خلال زيادة سخونة الحدود السورية تخفيفاً للنار الحارقة للإرهاب في الداخل السوري.

رابعاً: تصريح تركيا بإعادة الضريح إلى سورية، في موقع أكثر أمناً من مساحته السابقة البالغة 8000 كم، أملاً بتفوق الحليف التركي الأميركي الخليجي، «داعش».

إلى ماذا ترمي تركيا بإعادة الضريح إلى أرض أكثر أماناً. هذا الأمر يعني بالنسبة لنا انتهاكاً آخر للسيادة السورية، لا يمكن التسامح فيه أو غض الطرف عنه.

أيّ مكان آمن تتحدّث عنه تركيا، وهي التي تتذرّع بأنّ أرض الضريح أرض تركية والخشية على حرّاسه، الجنود الأتراك من نيل «داعش» دعاها لإخلائهم. وأنّ علمها مرفوع فوق هذه الأرض. وفق رأي ساستها! هل تريد أرضاً جديدة تدعوها أرضها؟

خامساً: هي تعمل على تسخين الأجواء تجاه مبادرة دي ميستورا، الذي أيقن أنّ ما يحدث في سورية إرهاباً. وأنّ القيادة السورية وعلى رأسها الرئيس بشار الأسد جزء من الحل، وهذا واقع لا ينكر، معلناً ذلك على منبر الأمم المتحدة.

الأمر الذي لا يروق للمعارضة التي تقطن خارج الحدود، والتي تتبنى ما يدعى «الجيش الحر»، وهو جزء من قوىً إرهابية توجه السلاح ضدّ الشعب السوري.

يؤكد ذلك منطوق لسان حال هشام مروة نائب الائتلاف، كيف لسوري شريف قبول معارضة تعلن على ملأ الإعلام والعالم، أنها الغطاء الرسمي والسياسي لإرهابيّي «الجيش الحر»، وأنها تتبنّى عملهم.

العالم يتغيّر تجاه ما يحدث في سورية، والجميع يعيد حساباته معها، مغيّراً لهجته ومُقراً بأنّ الإرهاب يهدّد العالم كله، وسينتقل منها إلى أكثر من ثمانين دولة، يفرّ إرهابيوها هرباً من الموت المحتم؛ إلى بلادهم حاملين تراكم خبراتهم الإرهابية.

تهرع أميركا في الأمم المتحدة لتشكيل لجنة تحقيق موقتة، بحجة أنها لحقوق الإنسان وليتها كانت كذلك، إلا أنها ذريعة للتدخل في سورية، من خلال ناب ذئبويّ آخر تدعوه لجنة تحقيق. هي في واقع الحال مسيّسة، مخرّبة.

في المقلب الآخر فئات المعارضة تتهم بعضها البعض وتخوّن بعضها البعض، عندما يخوّن اللبواني حليف صهيون الائتلاف، وتتقاذف الشخوص المعارضة خارج الوطن عبارات الاتهام والتجريح، تشكيكاً بالسلوكيات اجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً.

ماذا ينتظر هؤلاء؟ وأيّة معارضة هذه التي تطلب تفويض الشعب السوري لها على أنها تمثله... ببساطة لا أحد يتقبّلها. لتظلّ حبيسة فرديات أشخاصها...

الحرب العبثية... والحقيقة المفقودة

■ د. سلوى الخليل الأمين

الحقيقة عبارة مطاطة، لا يتقنها بشري على وجه الأرض، فالكل مختبئ خلف كواليس النفس الأمّارة بالسوء، والكلّ يدعي أن ما يمارسه هو الحقيقة فعلاً وقولاً، لكن مصطلح الحقيقة لا وجود له في أجندات الناس ولا في أجندات الدول الحضارية، ولا حتى في أجندات منظمة الأمم المتحدة، التي شكلت كي تحافظ على سيادة واستقلال الدول التي تندرج تحت رايتها، إضافة إلى ممارسة حقها في المحافظة على حرية الشعوب وسيادة أوطانها، بشرط ألا يسمح باختراق أرض دولة هي عضو فيها مهما كانت الأسباب والموجبات، وأياً كانت هوية شعوبها ومراتبها في سوق الاستهلاك العالمي والتصنيف الدولي.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية التي أنهت تلك الحرب بإطلاق القنبلة الذرية على هيروشيما، دون رادع أو وازع، أو وضع الحسابات لما قد يترتب على هذا الأمر الوحشي من دمار في البشر والحجر، ودون أي اعتبار لما قد ينتج بعدها من عواقب مضرّة بالمجتمع البشري العالمي وخصوصاً للشعب العربي بشكل عام، شبيه بما حصل بعد الحرب العالمية الأولى التي أدّت إلى تقسيم الوطن العربي إلى أوطان عبر اتفاقية سايكس ـ بيكو، وبالتالي استعباد شعبه، عبر منح السيطرة الاستعمارية للمنتصرين في تلك الحرب، بموجب تلك المعاهدة على بلادنا، فكانت سورية ولبنان من حصة فرنسا، والعراق وفلسطين وشرق الأردن من حصة بريطانيا، هذه الاتفاقيات والمؤتمرات من سان ريمو في إيطاليا العام بعد الحرب الأولى 1920، إلى مؤتمر سان فرنسيسكو العام 1945 بعد الحرب الثانية، أتاح للمنتصرين أيضاً، تحقيق وعد بلفور الصادر في العام 1917 والذي «منح» فلسطين لليهود في العام 1948.

هذه الحروب العبثية التي تمثل صراع البقاء أو صراع القوة ما زالت تذرّ رحاها بأشكال مختلفة، تارة تحت مُسمّى الحرب الباردة، وطوراً تحت مسمّى «ثورات الربيع العربي»، وأخيراً لا آخراً تحت مُسمّى مكافحة الإرهاب وغداً أو في المستقبل القريب تحت مُسمّى الحرب الجرثومية.

فلتاريخه، وبعد انحسار الانتدابين الفرنسي والبريطاني عن منطقتنا، بعد نضال مرير ومقاومة شديدة المراس انطلقت من بلاد الشام، ما زالت المؤامرات الكونية مستمرة، وما زال الطاغوت الأكبر المتحكم بالسيطرة على الشعوب المستضعفة قوياً، عبر فبركة الحجج الزائفة التي تؤدّي في نهاية الأمر إلى استعباد الشعوب من جديد باسم الحرية والسيادة والاستقلال، علماً أنّ الحرص على سيادة الدول، وعدم غزوها من بعضها البعض، أمر منوط تنفيذه والحرص عليه لمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن حسب دستورهما المكتوب في العام 1945. لكن ما يؤسف له أنّ قرارات هذه المنظمة تخضع للفيتو الأميركي الذي لا يعارض، والمدعوم من الصهيونية العالمية، بدليل ما تتمّ فبركته من ادّعاءات وتزوير إعلامي مدروس من أجل تبرير مساهمتهم أو بالأحرى تفعيل مخططاتهم العدوانية، عبر هذه الحروب الهمجية المخطط لها بدقة في دوائر القرار الأميركي، فهم من أوصل «الإخوان المسلمين» إلى السلطة في مصر وتونس بدعم مالي واضح من الدولة القطرية، وهم من يعطي الأوامر بالدعم لوجستياً ومالياً وعسكرياً لحلفائهم العرب والأتراك من أجل تدمير سورية والعراق ومصر ولبنان أيضاً، إضافة إلى تغطية تمدّد الإرهاب الداعشي إلى جزء من الأراضي العراقية والسورية والتمركز في جرود عرسال اللبنانية، دون أيّ اعتراض يذكر، سوى التوافق على تحرك خجول لم ينتج عنه، ما تطمح شعوبهم إليه من الحزم والجدية في مكافحة الإرهاب الذي بدأ بالتمدّد إلى بلدانهم.

بالرغم من ذلك ما زالت المؤامرة مستمرة، فمن تحطيم الجيش العراقي وحله، إلى إنهاك الجيش السوري بحرب شوارع وعصابات، إلى البدء حالياً بشنّ الهجوم المنظم على الجيش المصري، إلى ما يجري في اليمن وليبيا، إلى حصار غزة، إلى الهجوم المستمرّ في لبنان وزعزعة بنيانه الداخلي بالفتن المذهبية وبالدعوة الدائمة من فريق معيّن إلى سحب سلاح المقاومة، كلّ هذه المسارات هي من خطوط المؤامرة التي لم تصل حتى تاريخه إلى أهدافها المرسومة، بسبب قوة الفعل المقاوم المؤمن بالوطن والأرض والعرض والشرف والكرامات، وبقوة الشعور الوطني القومي الذي لم يسقط من النفوس المؤمنة بحقيقة الحرية والسيادة والاستقلال.

هذا الفعل الثابت حكماً لم تلحظه أميركا في خطوط بياناتها المؤامراتية، لظنها أنّ دعمها لأصحاب الثروات النفطية، وضخهم المال من أجل شراء النفوذ وإفقار شعوب المنطقة، سيساهم أيضاً في تفعيل هذه المؤامرة وإنهائها بالسرعة المطلوبة.

لكن ما لم تدرسه أميركا ومن خلفها الصهيونية العالمية، هو مدى عمق الشعور القومي الوطني المتأصّل في تربية وأخلاقية أغلبية الناس في هذه الدول الموضوعة على حدّ السكين، فبالأمس ارتفع صوت المهندس عبد الحكيم عبد الناصر ابن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، في ذكرى الوحدة العربية بين مصر وسورية ليؤكد، بالصوت الصارخ، أهمية وحدة المسار والمصير بين الشعبين والجيشين السوري والمصري، اللذين يعرفان معنى النضال الحقيقي ضدّ كلّ مستعمر وغادر وخائن وعميل، مهما كانت رتبته أو مقامه أو خزائن بيت ماله، لأنّ الكرامة العربية وحدة لا تتجزأ حين الهدف الشيطاني واحد. فكيف للعربي أن ينسى أو يحذف من ذاكرته ما فعلته السلطة الأميركية في حربها الدائمة المدسوسة على شعوبنا، عبر احتلالها تحت أنظار العالم كله الأرض التي تريد، ضاربة بعرض الحائط قرارات منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، الذي لم يتمكن أمينه العام من لجم غطرستهم العدوانية المتسلطة، بل باركه بغض النظر عن التحقيق في الحجج الواهية والمختلقة التي ساقتها أميركا حين احتلت العراق غازية، والتي فضحها في ما بعد وزير الخارجية الأميركي كولن باول حين قال: «لا وجود لأسلحة الدمار الشامل، وما هي سوى حجة استعملت لحماية مصالحنا في الشرق ومصالح إسرائيل».

هنا يتماهى السؤال في هذا الشرق المبتلي بغطرسة الحاكم العالمي الفرد، الذي يطمس الحقائق من أجل تنفيذ حروبه العبثية، التي ما زالت تذرّ شراراتها الحارقة المارقة على بلادنا، دون أي اعتبار لإنسانية الإنسان وحقوقه المصونة من المنظمات الدولية، وبجهل البعض من الحكام العرب، الذين يتوارثون العروش والكراسي الرسمية، ويهملون التاريخ العربي المجيد المكلل بالانتصارات على كلّ المستعمرين الذين اكتسحوا هذا الوطن العربي مستعمرين.

الحقيقة أنّ حرية الشعوب مسألة ثانوية في قواميس الطغاة، والتاريخ يشهد أن ما من أمبراطورية حكمت وعلت عروشها سوى بحكم السيف وليس القانون، حيث كان استعباد الشعوب هو المسألة الحضارية في أجنداتهم، التي ما زالت سارية المفعول حتى تاريخنا هذا. فكيف لعربي أن يأمن لمصيره ومصير من حوله في زمن العصابات التكفيرية من «داعش» و«النصرة» و«القاعدة»، الذين أطلقتهم أميركا بالتنسيق والتعاون مع المافيا الصهيونية العالمية، دون أيّ حسابات للحقوق والواجبات الإنسانية، وما زالت تغضّ النظر عن أفعالهم الإجرامية، وعمّن يموّلهم ويدعم تواجدهم وأفعالهم الوحشية، خصوصاً أنّ كلّ الدواعش من عرب وأجانب يدخلون سورية والعراق ولبنان عبر الحدود التركية المفتوحة على عينك يا تاجر، وأمام أنظار العالم الحرّ وتبريكاته، بدليل ما فعلته تركيا من دخول قواتها علناً، إلى الأراضي السورية، بحجة نقل مقام سليمان شاه جدّ العثمانيين، وهنا نسأل الرئيس الأميركي أوباما الذي حشد في مؤتمره الأخير أكثر من 60 دولة من مختلف أقطار العالم بحجة التشاور لوضع الخطط الآيلة لمكافحة العنف والإرهاب: هل نحن بحاجة لبرامج دعائية أخرى لسياستكم التي أوجدت الإرهاب ونظمته ورعته وحمته وموّلته عبر قنواتها الخليجية؟ أم هي حربكم العبثية التي أردتموها ناراً محرقة وحقيقة مفقودة.

المسيحيون السوريون... الجذور التاريخ والهجرة

■ لورا محمود

تعتبر سورية بالنسبة إلى المسيحيين الأرض التي انطلق منها التبشير المسيحي إلى كافة أنحاء العالم، فهذه الأرض هي التي احتضنت الكنيسة الأولى منذ عهد تلاميذ السيد المسيح، ومنها انطلق بولس الرسول حيث تحتضن سورية مجموعة من الكنائس هي الأقدم في العالم، ويحتفظ عدد من سكانها باللغة الآرامية التي تحدث بها السيد المسيح، وشكل المسيحيون في سورية على مرّ التاريخ نموذجاً للقدرة على الاندماج في المجتمع والتعايش مع كافة الثقافات والأديان.

اليوم يقف المسيحيون إلى جانب مكوّنات المجتمع السوري الأخرى أمام تحديات جديدة فرضتها الأزمة السورية، ولكن تحديات من نوع خاص ألقت بظلالها ليس على المسيحيين في سورية فحسب، بل على الوجود المسيحي ككل في الشرق الأوسط.

لطالما تميّزت الكنائس المشرقية عن الكنائس الغربية في عدة محاور منها: حفاظها على الهوية الثقافية القديمة، وإصرارها على القيام بدور الداعم للهوية القومية لمجتمعاتها، وهذا ما كانت ترفضه الكنائس الغربية مما أثار جدلاً واسعاً بين مسيحيّي الشرق ودول الغرب حول كيفية الحفاظ على الوجود المسيحي في الشرق.

ومع بداية الثمانينيات تنبّه الفاتيكان إلى خطورة إفراغ الشرق من المسيحيّين، لأنّ ذلك سيفقد الكنيسة جذورها الأولى في العالم، وسيفقدها أيضاً الدور الذي يجب أن تلعبه في محاولة إحلال السلام العالمي، فبدأ الفاتيكان بالحديث عن ضرورة تحسين أوضاع شعوب العالم الثالث والحفاظ على الأمن والاستقرار فيها، لأنّ هذا هو الضامن الوحيد لتجذّر المسيحيّين في الأرض التي ولد فيها السيد المسيح، والتي نمت فيها الكنيسة الأولى.

وفي سورية كان للمسيحيين دور أساسي وفعّال في بنائها، كيف لا؟ فهناك عائلات دمشقية عريقة ساهمت في النمو الحضاري والتاريخي لسورية وكانت تحظى بالسلطة والثروة والمعرفة، مما جعلها تؤثر بشكل موقت أو دائم على المجتمع. وقد اهتمّت هذه العائلات بجميع المجالات، بما فيها الصالح العام، فأسّسوا الجمعيات الخيرية والمستشفيات والمدارس وغيرها. وعبر التاريخ تمكنت بعض هذه العائلات أن تجاري الأوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة، وتشارك بشكل فعّال ومفيد في تنفيذ الخطط والبرامج الجديدة للدولة السورية، مما جعلها تحظى بنفوذ نسبي في مجال التجارة والصناعة والاقتصاد.

ومن المؤكد أنّ نخبة المجتمع، التي يعود انتماء غالبيّتها من المسلمين والمسيحيين إلى «العائلات الكبيرة»، كان لها الدور القيادي الحاسم في تنفيذ الأهداف التي أعلنها الزعماء الوطنيون الذين مرّوا على سورية، تبعهم في ذلك مجمع المثقفين والمفكرين السوريين.

و«العائلات الدمشقية القديمة»، التي سكنت في دمشق شاركت في مختلف المجالات والنشاطات المهنية والإدارية في البلد. فمنها المهنيون والحرفيون والأطباء والصيادلة والمعلمون والتجار والصناعيون والموظفون في الدولة أو في القطاع الخاص وفي المنظمات الدولية والسفارات، ويبرز بين هؤلاء نخبة ممتازة تلقى احترام الجميع وتتوارث من جيل إلى جيل القيم النبيلة التي جعلت منها ما يُسمى بـ«العائلات المسيحية الدمشقية الكبيرة».

المسيحيون المهاجرون إلى سورية

استقبلت سورية موجات متتالية من المهاجرين المسيحيين الغرباء الذين تعاقبوا عليها منذ بداية القرن العشرين، وكان هؤلاء المهاجرون الجدد إلى سورية من الأرمن الذين قدموا من تركيا ما بين عام 1905 و 1915، والآشوريين والكلدانيين الذين قدموا من العراق خلال العشرينات والثلاثينات، ثم العرب المسيحيين اليونانيين الذين لجأوا إلى سورية في الثلاثينات نتيجة ضمّ الدولة التركية للواء اسكندرون وأنطاكية (وهي بالأصل أراض سورية). كما جاء الروس البيض والجورجيونّ الهاربون من الثورة البلشفية في روسيا القيصرية عام 1917.

وقد استقبلهم السكان المحليون استقبالاً حسناً، حيث اتصف المهاجرون الجدد بالنزاهة والجدية في العمل، وخاصة في الأعمال الحرفية اليدوية. كما امتهن بعضهم المهن الحرة: أطباء، معلمون، محامون، تجار، وتميّز بعضهم الآخر في الوظائف الرسمية، فكان منهم موظفون كباراً في الدولة، وضباط في الجيش ونواب في مجلس الشعب، إضافة إلى اللاجئين الفلسطينيين، من مسيحيين ومسلمين الذين شُرِّدوا من ديارهم في عامي 1947 و 1948 نتيجة للاحتلال «الإسرائيلي» وقيام الدولة العبرية. وقد لجأ جزء من الفلسطينيين المسيحيين إلى دمشق، خاصة من كان له رباط عائلي مع عائلات دمشقية.

منذ القرن الثامن عشر، وطوال القرنين التاسع عشر والعشرين، نزحت عائلات مسيحية من القرى السورية إلى دمشق. وقد جاء أولها من حوران في جنوب سورية ومن مدن الساحل والمدن الشرقية السورية وسكنوا في «الحيّ المسيحي» في دمشق. وقد سمّاه كذلك جميع المؤرخين منذ تاريخ الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي حيث يقع هذا الحي داخل سور دمشق القديمة ويضمّ حارات القيمرية، باب توما، الطريق المستقيم، باب شرقي. كما ضمّ في وقت لاحق حي القصاع وبرج الروس وقسماً من حي العمارة أو مسجد الأقصاب، المسمّى أيضاً «مزّ القصب».

بعد ما سُمّي بـ«الربيع العربي» الذي نالت منه سورية النصيب الأكبر من العنف والدمار فتح الغرب أبوابه لهجرة المسيحيين، وكانت هذه مؤامرة بحدّ ذاتها، إذ لم يُتخذ أيّ موقف او قرار في الأمم المتحدة ومجلس الأمن لمصلحة المسيحيين، فكلّ همّهم إخراج المسيحيين من الشرق إرضاء لـ«إسرائيل»، وبعد أن أصبح للتكفيريين دور في سورية بدعم من الغرب ودول الخليج أصبحت الهجرة أمراً واقعاً، خاصة بعد كلّ ما تعرّض له المسيحيون من قتل وخطف وكلّ ما تعرّضت له الأماكن المقدسة المسيحية من تهويد ودمار.

ويذكر أنّ هجرة المسيحيين ليست حديثة العهد بل تمّت على مراحل متتالية منذ مطلع القرن التاسع عشر، فقد كانت الخيار الوحيد للعديد من العائلات المسيحية في دمشق نظراً إلى عدم الاستقرار الأمني للأشخاص والممتلكات نتيجة للحروب والخلافات القبلية والعشائرية والانتماءات السياسية وغيرها والتي كانت تحصل بتحريض، أو بموافقة ضمنية، من السلطان العثماني. كما أنّ الاضطرابات التي حصلت بعد انسحاب الجيش المصري من سورية بقيادة ابراهيم باشا عام 1840 كانت دافعاً لأولى الهجرات المكثفة إلى مصر. تلتها بعد عشرين عاماً هجرة كبيرة أخرى أيضاً إلى مصر بعد الحوادث المؤسفة في عام 1860. وكانت هذه الهجرة لأسباب دينية مرتبطة بأسباب سياسية، وهي الوحيدة من نوعها في مسلسل الهجرات حتى يومنا هذا.

وفي أواخر القرن التاسع عشر حدثت هجرة ثالثة إلى مصر، وكانت هذه المرة لأسباب اقتصادية وسياسية نتيجة لاضطهاد المفكرين والكتاب العرب الذين بدأوا بالنهضة العربية ضد سياسة «التتريك» المكثفة التي انتهجتها الدولة العثمانية في البلاد العربية الواقعة تحت سيطرتها المباشرة.

وكانت الأسباب الاقتصادية – ولا زالت حتى يومنا هذا – هي الدافع الأساسي للهجرات التي شهدها القرن العشرون إلى بلاد أوروبا وأميركا. فقد هاجر مسيحيون من دمشق منذ بداية القرن العشرين إلى فرنسا وبلجيكا، وكذلك إلى الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية. وقد تسارعت هذه الحركة في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين. وأيضاً، بعد هدنة قصيرة تبعت انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، عادت حركة الهجرة المكثفة في أواخر الخمسينات وخلال الستينات إلى لبنان. تبعتها في أواخر السبعينات وطوال الثمانينات هجرة هامة إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا وأستراليا.